عوامل نجاح الدعوة والداعية في سورة العصر

د. إبراهيم بن عبدالله المطلق
قسم الدعوة والاحتساب ـ كلية الدعوة والإعلام
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عوامل نجاح الدعوة والداعية في سور العصر

د. إبراهيم بن عبدالله المطلق
قسم الدعوة والاحتساب
كلية الدعوة والإعلام
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

تضمن البحث استخلاص عوامل نجاح الدعوة والدعاة إلى الله الواردة في سورة العصر، بدءا بالركيزة الأولى والأصل الأعظم في هذا الدين، وهو الإيمان بالله تعالى، وأنه لا يصح ولا يقبل إلا إذا قرن بالعمل الصالح، فلا إيمان بلا عمل .ثم تناول البحث شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي جاءت في السورة بوصف التواصي بالحق . حيث تم إيراد أقوال العلماء والمفسرين في فضل هذه الشعيرة وأهميتها. ولحاجة هذه الشعيرة والقائمين عليها إلى التواصي بالصبر ختمت السورة بالحث على ذلك، فتم إيراد أقوال العلماء والمفسرين في فضل الصبر وحاجة الدعاة إليه، والتلازم بين التواصي به والتواصي بالحق .

المقدمـة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن سورة العصر رغم قصرها تعد من أبلغ سور القرآن وأشملها للأحكام والمعاني، حيث جمع الله سبحانه وتعالى فيها المنهج الإسلامي المتكامل في بلاغة إعجازية إلهية قال تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾[1].

قال الألوسي في تفسيره للسورة[2]:

" وهي على قصرها جمعت من العلوم ما جمعت، فقد روي عن الشافعي رحمه الله أنه قال: لو لم ينزل غير هذه السورة لكفت الناس؛ لأنها شملت جميع علوم القرآن.

و قال الإمام الشافعي رحمه الله: لو تدبّر الناس هذه السورة لوسعتهم[3]..

وتشتد حاجة الدعوة والدعاة اليوم إلى الاستفادة علوم هذه السورة الكريمة والأسس والركائز التي تضمنتها والتي هي الأساس في التمكين للدعوة وهي الأساس في نجاح الدعاة إلى الله تعالى في هداية الناس إلى صراط الله المستقيم وصيانتهم من الوقوع فيما نهى الله تعالى عنه ونهى عنه رسوله صلى الله عليه وسلم .

وإن هذا البحث يسعى لبيان العوامل الرئيسة في نجاح الدعوة والدعاة والتي تضمنتها السورة الكريمة بدءا بالإيمان بالله تعالى مقترنا بالعمل الصالح ثم التواصي بالحق والصبر على الأذى فيه .

ويقوم هذا البحث في منهجه العلمي على : الاستقراء ، والاستنباط ، والتحليل للنصوص الشرعية بما يخدم قضية البحث وموضوعه الذي هو بعنوان " عوامل نجاح الدعوة والداعية في سورة العصر " وينقسم إلى تمهيد وأربعة مباحث تضمنت التعريف بالسورة ومصطلحات البحث ثم تناولت المباحث عوامل نجاح الدعوة في السورة

---

(١) سورة العصر .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي ٣٠/٢٢٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.دار طيبة للنشر، تحقيق:سامي محمد سلامة ٨/٤٧٩.

الكريمة من الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والصبر فيه.

والله تعالى المسؤول أن يجعل هذا الجهد خالصا لوجهه الكريم صوابا على السنة وأن ينفع به في كل زمان ومكان إنه سميع مجيب .

* * *

التمهيد : التعريف بالسورة الكريمة وفضلها ومصطلحات البحث :

المطلب الأول : التعريف بسورة العصر وفضلها:

سورة العصر سورة من ثلاث آيات فقط، وهي من أقصر سور القرآن الكريم. وهي مكية في قول جمهور المفسرين، وهو الراجح، وقيل أنها مدنية، قال بذلك قتادة ومجاهد ومقاتل.

قال في التحرير والتنوير: "وكذلك تسميتها [أي بالعصر] في مصاحف كثيرة، وفي معظم كتب التفسير، وكذلك هي في مصحف عتيق بالخط الكوفي من المصاحف القيروانية في القرن الخامس... وهي مكية في قول الجمهور وإطلاق جمهور المفسرين. وعن قتادة ومجاهد ومقاتل أنها مدنية".

وقد اشتملت سورة العصر على تبيين طريق النجاة والفلاح، وأقسم الله سبحانه وتعالى على فلاح سالكي هذا الطريق في الآخرة.

وحسبك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي عنهم، قد اتخذوا هذه السورة شعاراً لهم إذا افترقوا، لما فيها من جمع الخصال الأساسية لمنهج المسلم في سيره إلى الله تعالى.

روى الطبراني[1] بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله بن الحصين الأنصاري – من التابعين – أنه قال: "كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر".

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم". وفي رواية عنه: "لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم"[2].

وفي هذا المعنى يقول الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – تعليقا على قول الشافعي في سورة العصر: "قال الإمام الشافعي رحمه الله: لو لم ينزل الله على عباده حجة إلا هذه السورة لكفتهم. يعني: كفتهم موعظة وحثاً على التمسك بالإيمان والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك. وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة، لكن كفتهم موعظة، فكل إنسان عاقل يعرف أنه في خُسر إلا إذا

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ، مسند أبي مدينة الدارمي عبد الله بن حصن،حديث رقم١٣٦٦.

(٢) التحرير والنوير ، محمد الطاهر بن عاشور،مؤسسة التاريخ العربي،ط الاولى ١٤٢٠هـ.٣٠/٤٦٤.

اتصف بهذه الصفات الأربع، فإنه سوف يحاول بقدر ما يستطيع أن يتصف بهذه الصفات الأربع، وإلى تخليص نفسه من الخسران"[1].

المطلب الثاني : أقوال العلماء في الجمع بين الخصال الأربع الواردة في السورة:

استدل العلماء بالاستثناء الوارد في جواب القسم بالعصر على وجوب الاتصاف بالصفات الأربع المذكورة في السورة ، وأن من لم يحققها فقد باء بالخسران والهلاك في الآخرة وإن توفرت له مظاهر المكاسب الدنيوية. إلى غير ذلك من الفوائد التي ذكرها العلماء، حول السورة الكريمة، ومنها ما يلي:

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – في تفسيره[2]:

"أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم، أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح، والخسار مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خسارا مطلقا، كحال من خسر الدنيا، والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم. وقد يكون خاسرا من بعض الوجوه، دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات: الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه، لا يتم إلا به. والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة، والباطنة، المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده، الواجبة والمستحبة. والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضا بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه. والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة. فبالأمرين الأولين يكمل العبد نفسه، وبالأمرين الأخيرين، يكمل غيره. وبتكميل الأمور الأربع، يكون العبد، قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم".

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "فأقسم الله تعالى أن كل إنسان خاسر إلا من اتصف بهذه الأوصاف الأربع: الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر على الحق، فهذه السورة ميزان للأعمال يزين المؤمن بها نفسه فيبين له بها ربحه من خسرانه"[3].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٦ / ١٤،شرح ثلاثة الأصول.انظر تفسير سورة العصر للمؤلف نفسه.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،عبدالرحمن السعدي،تحقيق:عبدالرحمن اللويحق،طبعة مجمع الملك فهد، ص٩٣٤.

(٣) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي،دار ابن حزم،١/ ٣٠٠ ، ط : الأولى١٤٢٤هـ.

وقال السيوطي- رحمه الله - في الدر المنثور[1]: "أخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي والعصر قال: قسم أقسم به ربنا تبارك وتعالى ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ قال: الناس كلهم، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ثم لم يدعهم وذاك حتى قال: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ثم لم يدعهم وذاك حتى قال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ ثم لم يدعهم وذاك حتى قال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يشترط عليهم".

وجاء في تفسير أبي السعود[2] - رحمه الله -: "﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: فإنهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس، واشتروا الباقي النفيس، واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات..﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ بيان لتكميلهم لغيرهم، أي وصى بعضهم بعضا بالأمر الثابت الذي لا سبيل إلى إنكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره، وهو الخير كله، من الإيمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: أي عن المعاصي التي تشتاق إليها النفس بحكم الجبلة البشرية، وعلى الطاعات التي يشق عليها أداؤها، أو على ما يبلو الله عز وجل به عباده".

وقال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره[3]: "فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بجوارحهم ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ وهو أداء الطاعات وترك المحرمات ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي على المصائب والأقدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر".

المطلب الثالث: أقوال العلماء في قسم الله تعالى بالعصر:

اختلف علماء التفسير في المراد بالقسم ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ففسر بالدهر بمعنى الزمان، أو زمن النبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً. ومن جهة أخرى فسر بأنه ساعة من ساعات النهار أو العشي، وفسره بعضهم بالصلاة الوسطى أي صلاة العصر. وغير ذلك.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق د.عبدالله التركي ١٥/٦٣٣. مركز هجر للبحوث والدراسات، ط:الأولى ١٤٢٤هـ.

(٢) إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي، ٩/١٩٧. دار احياء التراث العربي، بيروت.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٨/٤٨٠.

جاء في تفسير البيضاوي[1]: " أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها، أو بعصر النبوة، أو بالدهر؛ لاشتماله على الأعاجيب، والتعريض بنفي ما يضاف إليه من الخسران ".

وفي توجيه أن القسم بالعصر بمعنى الدهر أو الزمان قال الشوكاني – رحمه الله – في فتح القدير[2]: "أقسم سبحانه بالعصر، وهو الدهر؛ لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار، وتعاقب الظلام والضياء؛ فإن في ذلك دلالة بينة على الصانع عز وجل وعلى توحيده".

وقال القرطبي – رحمه الله – في تفسيره[3]: "أقسم الله به عز وجل؛ لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها وما فيها من الدلالة على الصانع".

وقال ابن عاشور موضحاً وجه من فسر العصر بأنه عصر النبي صلى الله عليه وسلم: "يطلق العصر على مدة معلومة لوجود جيل من الناس أو ملك أو نبي أو دين ويعين بالإضافة، فيقال: عصر إبراهيم وعصر الإسكندر وعصر الجاهلية، فيجوز أن يكون مراد هذا الإطلاق هنا، ويكون المعني به عصر النبي صلى الله عليه وسلم، والتعريف فيه تعريف العهد الحضوري مثل التعريف في (اليوم) من قولك: فعلت اليوم كذا، فالقسم به كالقسم بحياته في قوله تعالى (لعمرك)".

وقال أيضاً في احتمال كون المراد هو عصر الإسلام كله:

"ويجوز أن يراد عصر الإسلام كله، وهو خاتمة عصور الأديان لهذا العالم"[4].

وهكذا تتكامل هذه النصوص في تأكيد قيمة الزمن والوقت، ويضاف إلى ذلك القسم ببعض هذه الأوقات والأزمان في سور القرآن، ومنها القسم الذي بين أيدينا في مستهل سورة العصر، وأقوال العلماء والمفسرين فيه، التي أشارت إلى الحكمة من هذا القسم، وأنه دلالة على أن المقسم به ذو أهمية بالغة.

وذلك أن الله تعالى لا يقسم بشيء إلا وفيه سر عظيم وحكمة بالغة، من أجل لفت

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ناصر الدين البيضاوي مع حاشية محي الدين زادة ٤٠/٥٩٦، مكتبة الحقيقة، استانبول ،ط: ١٤١٩هـ.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، ٥/٦٩٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، ٢٠/١٧٩، دار إحياء التراث بيروت ١٤٠٥هـ.

(٤) التحرير والتنوير ٣٠/٤٦٥.

الأنظار إليه، للاعتبار أو للاستفادة منه.

فنبه القسم بالعصر هنا – وهو الزمان بما فيه من العبر من تقلب الليل والنهار والحوادث والمتغيرات والمتضادات – إلى ما فيه من الفائدة العظيمة للإنسان؛ إذا أحسن استغلاله فيما ينفعه ويفيده. وهذا الأمر في حق الداعية أخص وآكد من غيره، لما يحمله من مسؤولية إرشاد الناس والنصح لهم؛ فينبغي للداعية أن ينظم وقته ويستغله من جهة: في تحصيل العلم النافع الذي هو زاده في دعوته، وأساس الدعوة الصالحة وأولويات العاملين فيها. ومن جهة أخرى ينبغي للداعية كذلك أن يبذل من وقته في الدعوة على بصيرة، ويراعي الأهم فالمهم؛ فيبدأ بتصحيح العقائد والعبادات ثم السلوكيات الخاطئة، فيعطي كلا من هذه الأقسام نصيبه من الوقت حسب أهميته.

كما ينبغي للداعية ألا يحقر الوقت اليسير الذي يبذله في تعليم جاهل أو إرشاد تائه، أو بذل نفع للخلق أياً كان، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها"[1].

المطلب الرابع : التعريف بمصطلحات "الدعوة" و"الداعية":

الدعوة إلى الله تعالى من أجل الأعمال والقربات، ومقام الدعوة إلى الله تعالى من أجل مقامات العبد، قال الله جل وعلا:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2]. فالدعوة في الإسلام هي وسيلة الهداية والإرشاد، التي أمر الله بها الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – وحث عليها أمته، كل بما يعلم ويستطيع. كما خصها الشارع ببيان أساليبها وطرقها، حتى تؤدى على بصيرة وسداد، وفق مراد الشارع الحكيم.

ومن معانيها في اللغة:

قال في تاج العروس[3]: "الدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع،

---

(١) المسند للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ٣/ ١٩١، تحقيق السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب بيروت، ط: ١، ١٤١٩هـ.

(٢) سورة فصلت، الآية ٣٣.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وزارة الارشاد والأنباء الكويت، ١٣٨٥هـ، مادة دعا.

وقد يتضمن الادعاء معنى الإخبار".

و"دعاه إلى الشيء: حثُّه على قصده، ومنه ما جاء في القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

وفي الاصطلاح:

الدَّاعِي: هو الذي يدعو، والجمع دعاة. وهو: الذي يدعو النّاس إلى دينٍ، أو مذهب. والدّاعي - كذلك - هو المؤذن، لأنّه يدعو النّاس إلى الصلاة".

* * *

المبحث الأول : الإيمان:

المطلب الأول : مفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة:

يعرف أهل السنة والجماعة الإيمان بأنه: اعتقاد بالجنان ونطق باللِّسان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

جاء ذلك عن جماهير من السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، فمن ذلك قول عبدالله بن مسعود، رضي الله عنه: "لا ينفع قول إلا بعمل ولا ينفع قول ولا عمل إلا بنية ولا ينفع قول ولا عمل ولا نية إلا بما وافق السنة"[1].

وجاءت آثار مقاربة لأثر ابن مسعود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والحسن البصري وسعيد بن جبير رحمهما الله[2].

وقال الأوزاعي رحمه الله: "لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة. وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، والعمل من الإيمان، والإيمان من العمل... فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق بعمله فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها. ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدقه بعمله لم يقبل منه وكان في الآخرة من الخاسرين"[3]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية[4] بعد نقله للأثر السابق: "وهذا معروف عن غير واحد من السلف والخلف أنهم يجعلون العمل مصدقا للقول".

وبهذا تميَّز أهل السنة والجماعة عن الفرق المخالفة في هذا الباب، بعدم إخراج العمل من مسمى الإيمان، فالإيمان عند أهل السنة و الجماعة قولٌ و عمل؛ بالإضافة إلى اعتقاد القلب، مع اعتبار كل من القول والاعتقاد والعمل أركاناً في الإيمان؛ لا يقوم الإيمان إلاَّ بها جميعاً.

فأما عمل القلب فهو الاعتقاد والتصديق، فلابد من تصديق الرسل عليهم الصلاة

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ،للإمام أبي عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري ٢/٨٠٢، برقم ١٠٨٨ ،تحقيق : رضا بن نعسان معطي ، دار الراية،ط: الثانية ، ١٤١٥هـ.

(٢) المصدر السابق ..

(٣) المصدر السابق برقم ١٠٩٨ .

(٤) مجموع الفتاوى ، أحمد بن تيمية ٧/٢٩٦، طبعة مجمع الملك فهد .

والسلام فيما أخبروا به، فإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء. والأدلة على اشتراط اعتقاد القلب كثيرة، منها قوله تعالى:﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ..﴾ [1]. وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [2].

ومن أعمال القلوب الدالة على الإيمان: الإخلاص، والحب، والخوف، والرجاء، والتعظيم، والتوكل، وغيرها، فإذا زال عمل القلب – ولو مع اعتقاد التصديق – فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب.

وأما قول اللسان فهو النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما، وهو شرط لصحة الإيمان، فمن لم يصدق بلسانه مع القدرة، لا يسمى مؤمناً، كما اتفق على ذلك سلف الأمة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها"[3].

وأما عمل الجوارح فهو العمل الذي يؤدى بها، مثل الصلاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكما يجب على الخلق أن يصدقوا الرسل – عليهم السلام – فيما أخبروا، فعليهم أن يطيعوهم فيما أمروا، فلا يتحقق الإيمان بالرسول مع ترك الطاعة بالكلية، وأعمال الجوارح تابعة لأعمال القلوب، ولازمة لها.

قال الله جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [4]. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٤.

(٢) سورة المجادلة الآية ٢٢.

(٣) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح من حديث ابن عمر ٢٤/١،كتاب الإيمان / باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)الطبعة السلفية ١٤٠٠هـ ،وأخرجه مسلم /باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لااله الا الله محمد رسول الله)٥٢/١،دار إحياء التراث ، بيروت،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٤) سورة الحجرات ، الآية ١٥.

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1].

قال زيد بن أسلم رحمه الله: لا بد لهذا الدين من أربع: دخول في دعوة المسلمين، ولابد من الإيمان وتصديق الله وبالمرسلين أولهم وآخرهم، والجنة والنار، والبعث بعد الموت، ولابد من أن تعمل عملا صالحا تصدق به إيمانك[2].

ويشمل الإيمان عند أهل السنة والجماعة ستة أصول:

– الإيمان بالله عز وجل والإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب والإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر.

وقد دلت على هذه الأركان نصوص كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[3].

وقوله صلى الله عليه وسلّم حين سأله جبريل عن الإيمان، فقال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[4].

ويتفاوت الناس في إيمانهم بهذه الأصول، مؤمن خالص الإيمان، إيماناً لا شك فيه ولا تردد. وكافر جاحد منكر. ومتردد. والناجي من هؤلاء القسم الأول الذي يؤمن إيماناً لا تردد فيه، يؤمن بوجود الله، وربوبيته، وألوهيته، وبأسمائه وصفاته عز وجل، ويؤمن بالملائكة".

والبدأ بالإيمان في هذه السورة العظيمة دليل أهميته وأنه الأساس والأصل في باقي الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى فلا عمل صالح مقبول بدون إيمان ولا ينتظر من غير المؤمن أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر ولذا اقتصرت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في العهد المكي على تأصيل العقيدة وتغذية الإيمان في قلوب ونفوس المخاطبين حتى إذا ثبت الإيمان في قلوبهم واطمأنت إليه نفوسهم نزلت الأحكام الشرعية الأخرى في العهد المدني .

---

(١) سورة الأنفال، الآية٢– ٤.

(٢) المصنف، لابن أبي شيبة، كتاب الإيمان والرؤيا، ٧/ ٢٢٩، دار الفكر بيروت ١٤٠٩هـ

(٣) سورة النساء، الآية ١٣٦.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب (بيان الإيمان والإسلام والإحسان)برقم ٩.

المطلب الثاني : الإيمان أصل من أصول الدعوة إلى الله:

يعد تصحيح العقيدة، وإقامة الإيمان الصحيح في النفوس، من أهم أولويات الدعوة والدعاة إلى الله تعالى، لأن ذلك هو أساس الدين ومرتكزه، ومصدر جميع الأعمال ومحركها، وعليه تقوم مختلف التشريعات وتطبيقها والتزامها. ومن هنا فلن تقوم دعوة الداعية على أساس سليم إلا إذا اعتنت بهذا الأصل الأصيل، وصرفت له الجهود والأوقات، وعدته من أولى الأولويات.

وعلى هذا المنهج كانت دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فكانوا أول ما يدعون إليه التوحيد والإيمان بالله وحده لا شريك له، ونبذ ما سواه من المعبودات التي زينها الشيطان لهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [1].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسيره[2] : "فكل الرسل، الذين من قبلك مع كتبهم، زبدة رسالتهم وأصلها: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه، باطلة".

وقال الله جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [3]. قال الشيخ صالح الفوزان في بيان أولوية بناء العقيدة وتصحيحها في الدعوة إلى الله:

"توضيح العقيدة الصحيحة والدعوة إليها هو أهم الأمور وآكد الواجبات، لأنها الأساس الذي تنبني عليه صحة الأعمال وقبولها... وكان نصيب هذا الجانب من سور القرآن وآياته النصيب الأوفر، وكان نصيبه من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم واهتمامه النصيب الأكبر، فقد مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد وإخلاص العقيدة، ولما فتح الله عليه مكة، كان أول ما بدأ به هدم الأصنام والقضاء عليها والأمر بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له"[4].

---

(١) سورة النحل، الآية ٣٦.

(٢) تفسير الكريم الرحمن، ٥٢٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.

(٤) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، صالح الفوزان، ص٦، دار ابن الجوزي، ط: الرابعة، ١٤٢٠هـ.

وحينما بعث صلى الله عليه وسلم معاذ إلى الإيمان كانت وصيته صلى الله عليه وسلم له " فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله " فدل على أولوية الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم.

كما دلت النصوص على ضرورة اهتمام الداعية بالأوليات في الدعوة إلى الله تعالى ومراعاة العناية بالعقيدة الصحيحة أولا وتقديمها على جميع أحكام الإسلام وشرائعه أخذا بهذه الأدلة العظيمة وتأسيا بالرسل عليهم الصلاة والسلام ولكي تؤتي دعوته ثمرتها بإذن الله تعالى .

المطلب الثالث : صفه الإيمان منقبة للمؤمن:

لقد كرم الله بني آدم وخلقهم في أحسن تقويم، ورزقهم، وفضلهم على كثير من خلقه، وأفاض عليهم من نعمه التي لا تعد ولا تحصى. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1].

قال الشيخ السعدي في تفسيره[2] عند ذكر هذه الآية:

"كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة".

وقد خص الله جل وعلا الإنسان المؤمن بزيادة تكريم، وإن من أعظم تكريم الله للمؤمن: وصفه بالإيمان، فخصه سبحانه وتعالى بالكرامة الحقيقية، وجعل المؤمنين يتفاضلون فيها، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[3].

فجعل الله جل وعلا ميزان التكريم الحقيقي هو الإيمان والتقوى، وليس ما سوى ذلك من الانتساب القبلي أو الغنى أو الحسب أو غيرها. قال الشيخ الشنقيطي في تفسيره[4]: " فاتضح من هذا أن الفضل والكرم إنما هو بتقوى الله، لا بغيره من الانتساب إلى القبائل... وهذه الآيات القرآنية، تدل على أن دين الإسلام سماوي صحيح، لا نظر فيه إلى

---

(١) سورة الاسراء ، الآية ٧٠ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٦٣.

(٣) سورة الحجرات ، الآية ١٣.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي.٧/ ٤١٨،دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ.

الألوان ولا إلى العناصر، ولا إلى الجهات، وإنما المعتبر فيه تقوى الله جل وعلا وطاعته، فأكرم الناس وأفضلهم أتقاهم لله، ولا كرم ولا فضل لغير المتقي، ولو كان رفيع النسب".

ولهذا تضمنت آيات كثيرة خاطب الله بها عباده المؤمنين صفة الإيمان فخاطبهم بقوله " يا أيها الذين آمنوا " وفرق بين قوله "يا أيها الذين آمنوا " وقوله " يا أيها الناس " فنداؤه جلا وعلا لعباده بصفة الإيمان منقبة لهم وله أثره ومزيته في استجابتهم لدعوة الحق وإيمانهم برسالة نبيه صلى الله عليه وسلم .

والدعاة إلى الله تعالى هم أولى الناس بالتحلي بصفات المؤمنين؛ فهم محل القدوة والمسؤولية؛ والداعية محط أنظار الناس، فإن كان مخالفاً ما يدعو إليه لم يكن لدعوته أثر ولا معنى. كما في قول الله جل وعلا، حكاية عن نبيه شعيب عليه السلام، مخاطباً قومه وهو يدعوهم إلى الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ..﴾ الآية[1]. وقال تعالى مخاطبا المؤمنين في سورة الصف[2]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

فلابد – حتى تؤثر الدعوة في نفس المدعو – أن يقترن الالتزام الظاهر بصفات المؤمنين، بفقه واستشعار نفسي عميق لها، بحيث تنعكس هذه الصفات على كافة الجوانب السلوكية لشخصية الداعية وأخلاقه، فيكون عاملاً بما يدعو إليه.

* * *

(١) سورة هود ، الآية ٨٨.

(٢) سورة الصف ، الآيات ٢ ، ٣.

المبحث الثاني : العمل الصالح:

المطلب الأول : مفهوم العمل الصالح:

العمل الصالح اسم جامع لأفعال الخير الظاهرة والباطنة الموافقة للشريعة.

قال السعدي في تفسيره:

"والعمل الصالح.. هذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة، والباطنة، المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده، الواجبة والمستحبة"[1].

كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام.. إلى غيرها من أعمال الجوارح والقلوب.

وللعمل الصالح شرطان حتى يكون مقبولاً عند الله سبحانه وتعالى ونافعاً لصاحبه، وهما: الإخلاص والمتابعة. كما نص عليهما كثير من السلف: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان، أحدهما: أن لا نعبد إلا الله. والثاني: أن لا نعبده إلا بما شرع. لا نعبده بعبادة مبتدعة.

وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، كما قال تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[2]، قال الفضيل بن عياض: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإن كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل؛ حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. وذلك تحقيق قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[3]"[4].

المطلب الثاني : التلازم بين الإيمان والعمل الصالح في القرآن :

يأتي ذكر الإيمان مقرونا بالعمل الصالح في مواضع كثيرة من الخطاب القرآني على أنهما معا هما سبيل النجاة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٩٣٤.

(٢) سورة الملك، الآية ٢.

(٣) سورة الكهف، الآية ١١٠.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١/٣٣٣.

قال الله سبحانه وتعالى:﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ..﴾ [1]. وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [2]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ..﴾ [3]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [4].

والحكمة من الجمع بينهما كما ذكر السعدي في تفسيره[5] أن "الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة وقبولها، بل لا تسمى أعمالا صالحة، إلا بالإيمان، والإيمان مقتض لها، فإنه: التصديق الجازم، المثمر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات. فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ .."اهـ

المطلب الثالث : العمل الصالح ثمرة الإيمان:

هذا الاقتران بين الإيمان والعمل الصالح في الخطاب القرآني مفاده أن العمل الصالح هو المصدق للإيمان وثمرته.

قال الطبري في تفسيره[6] عند الآية السابقة من سورة البقرة:

"وهذا أمر من الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بإبلاغ بشارته خلقه الذين آمنوا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند ربه، وصدقوا إيمانهم ذلك وإقرارهم بأعمالهم الصالحة، فقال له يا محمد بشر من صدقك أنك رسولي، وأن ما جئت به من الهدى والنور فمن عندي، ومن حقق تصديقه ذلك قولا وبأداء الصالح من الأعمال التي افترضتها عليه وأوجبتها في كتابي على لسانك عليه أن له جنات تجري من تحتها الأنهار خاصة، دون من كذب بك وأنكر ما جئته به من الهدى من عندي وعاندك، ودون من أظهر تصديقك وأقر أن ما جئته به فمن عندي قولا وجحده اعتقادا، ولم يحققه

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥.

(٢) سورة النحل، الآية ٩٧.

(٣) سور يونس، الآية ٩.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٧.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٤٨.

(٦) جامع البيان في تأويل آي القرآن،محمد بن جرير الطبري،٣٨٣/١، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ،ط:١،١٤٢٠هـ.

عملا؛ فإن لأولئك النار التي وقودها الناس والحجارة معدة عندي".

فالأعمال الصالحة هي التي تصدّق الإيمان، وتكون ثمرة له، دون من أظهر القول بالإيمان ولم يحققه بأعماله. فعلاقة الإيمان بالعمل الصالح هي كعلاقة السبب بالنتيجة، وإيمان بلا عمل كدعوى بلا برهان.

المطلب الرابع : العمل الصالح زاد الدعاة إلى الله :

لابد من اقتران دعوة الداعية بالعمل بما يدعو إليه؛ ليؤتي الثمرة المرجوة، فالعلم المجرد عن العمل لا يستفيد منه صاحبه بل يكون حجة عليه أمام الله عز وجل.

فعلى الداعية مسؤولية أن يكون قدوة حسنة في جميع أعماله، وأن يظهر عليه سمت أهل العلم، ويتخلق بالأخلاق الكريمة، ويمتثل ما يدعو إليه؛ حتى يكون لدعوته أثرها على الناس.

ومن جوانب القصور العظيمة أن يكون المنتسب إلى الدعوة على غير علم يؤهله لما يدعو إليه، أو يعلم ولكنه لا يعمل بعلمه؛ فيكون – على خلاف المراد منه – سببا لتنفير الناس من الدعوة وصدهم عن تعاليم الشرع. قال الله جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[1]. وقال سبحانه موبخا اليهود على أمرهم الناس بالبر ونسيان أنفسهم: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[2].

وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع عليه أهل النار فيقولون له: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه"[3].

فهذه حال من دعا إلى الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم خالف قوله فعله، وفعله قوله؛ فحريٌّ بمن انتسب إلى طريق الدعوة والدعاة أن يربأ بنفسه عن هذه الأوصاف المذمومة، وأن يستشعر مسؤوليته أمام الله عز وجل عمّا حمّل به من أمانة.

---

(١) سورة الصف، الآية ٢، ٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ٤٤.

(٣) أخرجه مسلم، باب (عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله) حديث رقم ٥٣٠٥.

وحري بالدعاة إلى الله تعالى أن يكونوا قدوة صالحة للآخرين بالمحافظة على العمال الصالح والالتزام بالواجبات والإكثار من النوافل وأن يحذروا من الصفات المذمومة والأعمال المشينة التي تلوث سمعتهم وتشوه سيرتهم لأن ذلك يعود أثره على دعوتهم فالقدوة الصالحة من أهم وسائل تبليغ الدعوة كما كان نبي الله تعالى وصحبه الكرام ومن تبعهم من سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين.

* * *

المبحث الثالث : التواصي بالحق :

المطلب الأول : مفهوم التواصي بالحق :

يشمل مفهوم التواصي بالحق التناصح بين المؤمنين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين أفراد المجتمع المسلم والأمة بشكل عام. وقد فسر العلماء والمفسرون "التواصي بالحق" بعدة معان، منها: أنه التواصي بالإيمان[1]. وقيل أنه أداء الطاعات وترك المحرمات[2].

وقال ابن جرير الطبري[3]: "أوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه، من أمره، واجتناب ما نهى عنه فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل". (ثم نسب إلى الحسن وقتادة القول بأن الحق هو كتاب الله تعالى).

– وقال القرطبي في تفسيره: "﴿ وَتَوَاصَوْا ﴾ أي تحابوا؛ أوصى بعضهم بعضا وحث بعضهم بعضا، ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي بالتوحيد؛ كذا روى الضحاك عن ابن عباس. قال قتادة: ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي: القرآن. وقال السدي: الحق هنا هو الله عز وجل"[4].

وقال السعدي – رحمه الله – في تفسيره:

"﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾: الإيمان والعمل الصالح، أي يوصي بعضهم بعضا بذلك ويحث عليه ويرغبه فيه [5]".

المطلب الثاني : فضل التواصي بالحق وضوابطه:

مما يدل على فضل التواصي بالحق إفراده بالذكر في سورة العصر، رغم أنه داخل في عموم الأعمال الصالحة، فدل ذلك على مزيد شرفه ورفعة منزلته بين شرائع الدين.

قال في التحرير والتنوير: "وعطف على عمل الصالحات: التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وإن كان ذلك من عمل الصالحات، عطف الخاص على العام، للاهتمام به، لأنه قد يغفل عنه.. يظن أن العمل الصالح هو ما أثره عمل المرء في خاصته، فوقع التنبيه على أن

---

(١) فتح القدير للشوكاني، ٥/٦٩٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٤٨٠.

(٣) جامع البيان للطبري، ٢٤/٥٩٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢٠/١٨١.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص٩٣٤.

من العمل المأمور به إرشاد المسلم غيره ودعوته إلى الحق، فالتواصي بالحق يشمل تعليم حقائق الهدي وعقائد الصواب وإراضة النفس على فهمها بفعل المعروف وترك المنكر"[1].

ومع أهمية التواصي بالحق، والدعوة إلى الخير، ينبغي لكل مسلم الوقوف على ضوابط الشرع وآدابه في القيام بهذه الواجب، والموازنة بين المصالح والمفاسد، وسؤال أهل العلم فيما يشكل عليه؛ لئلا تقع منه ممارسات خاطئة أو مخالفة للشرع والسنة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – بعد بيانه أن العمل لا يقبل إلا بالإخلاص والموافقة للشرع –: "وإذا كان هذا حدّ كل عمل صالح؛ فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يجب أن يكون هكذا في حق نفسه، ولا يكون عمله صالحاً إن لم يكن بعلم وفقهٍ؛ فإن القصد والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلاً وضلالاً واتباعاً للهوى... فلا بُدَّ من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولا بُدَّ من العلم بحال المأمور والمنهي، ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي بالصراط المستقيم وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود"[2].

المطلب الثالث : التمكين للدعوة مرهون بالتواصي بالحق:

التواصي بالحق واجب على جميع المسلمين، وأولى الناس بالتناصح والتواصي بالحق بعد الأنبياء هم العلماء وطلبة العلم، ولا تتمكن الدعوة من تحقيق أهدافها والحفاظ على مكتسباتها إلا إذا عم النصح وقبول الحق في الأوساط العلمية والدعوية ومجتمعات المسلمين، فهو سبيل النجاة للأمة أفرادا وجماعات.

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[3]

ولقد كان من أبرز سمات العصور المزدهرة في صدر الإسلام انتشار الدعوة إلى الحق والخير والتواصي عليه؛ حتى عم دين الله القويم أرجاء المعمورة.

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله، مرشدا إلى سبل التواصي والمناصحة في مجتمعاتنا المعاصرة:

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٣٠ / ٤٦٨.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ١٣٦/٢٨.

(٣) سورة الحج، الآية ٤١.

"وفي المجتمع الإسلامي، ووجود القائد الإسلامي الذي يعينك يكون لك نشاط أكثر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاتصال بالمسؤولين عند وجود المعاندين، والذين يخشى من عنادهم الخطر على المجتمع، وتكون مع ذلك سالكا المسلك القويم بالرفق والحكمة والصبر، كما قال عز وجل: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ فلابد من صبر وتواص بالحق، ودعوة إليه، حتى تنجح في مهمتك، وكذلك المسؤولون والكبار الذين يخشى من شرهم على الدعوة، ينصحون بالأسلوب الحسن، ويوجهون، ويدعون بالكتابة والمشافهة من أعيان الأمة ورجالها وقادتها وأمرائها، كما قال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ الآية[1]، وكما قال سبحانه لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام لما بعثهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[2].

فالواجب على المصلحين والدعاة أن يسلكوا هذا السبيل، وأن يعالجوا مشكلات المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يخاطبوا كل إنسان بما يليق به، حتى ينجحوا في مهمتهم، ويصلوا إلى غايتهم"[3].

المطلب الرابع التواصي بالحق صمام أمان الأمة المسلمة:

التواصي بالحق حق للفرد على الجماعة، كما أنه حق الجماعة على الفرد، لينمو الخير وينتشر، ويحاصر الباطل وينحسر، ويقل الشر والفساد. ولهذا أوجبه الله تعالى وجعله أحد أركان النجاة من الخسران. والأدلة على وجوب وأهمية التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة في الكتاب والسنة، منها:

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٢) سورة طه، الآية ٤٤.

(٣) مجموع فتاوى ومقالات منوعة، عبد العزيز بن باز ٢٥١/١، جمع: محمد بن سعد الشويعر، طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

(٤) سورة التوبة، الآية ٧١.

وفي صحيح مسلم عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة" قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[1].

وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا – وشبك بين أصابعه –"[2].

ومن جهة أخرى: فإن التواصي بالحق بالتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم وسائل رفع المخالفات وإزالة المنكرات ومعالجة السلبيات، والقضاء على مظاهر الخلل في المجتمع والأمة.

ولعظم إثم التفريط فيه كان ذلك سبباً في لعن بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[3].

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: "إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾"[4].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله في شدة الحاجة إليه:

"فالمؤمن والمؤمنة في أشد الحاجة للتواصي بالحق والتناصح والتعاون على الخير والصبر على ذلك... والناس بخير ما تناصحوا وتواصوا بالحق، فإذا أهملوا وضيعوا وتقاعسوا عن هذا الأمر العظيم، ظهرت بينهم المنكرات، وقلت بينهم الخيرات،

---

(١) أخرجه مسلم، باب (بيان أن الدين النصيحة) حديث رقم ٨٢.

(٢) أخرجه البخاري، باب: تشبيك الاصابع في المسجد وغيره :١/١٧١،حديث رقم ٤٨١، من حديث أبي موسى، وأخرجه مسلم، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم)برقم ٤٦٨٤.

(٣) سورة المائدة، الآية ٧٩.

(٤) سنن أبي داوود للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، ٤/ ٣٢٩، حديث رقم ٤٣٣٦، دار ابن حزم بيروت ط:١، ١٤١٨هـ تعليق:عزت عبيد وعادل السيد.

وانتشرت الرذائل"[1].

المطلب الخامس: مسؤولية حكام المسلمين وعلمائهم تجاه هذه الشعيرة:

واجب حكام المسلمين وعلمائهم ودعاتهم تجاه هذه الشعيرة مضاعف، ومسؤوليتهم مشتركة فيها، ذلك أنهم هم أهل العلم ومرجع الناس ومصدر إرشادهم. ولأن هداية العالم وحكمة الوالي وصلاحهما من أهم المؤثرات في الرعية.

وفي هذا يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: "فالواجب على قادة المسلمين من العلماء والأمراء وغيرهم الاهتمام بكل مصيبة تحل أو نكبة تقع، وتذكير الناس وبيان ما وقعوا فيه، وأن يكون ولاة الأمر من العلماء والحكام هم القدوة الصالحة في العمل الصالح والبحث عن مسببات غضب الله ونقمته، وعلاجها بالتوبة والاستغفار وإصلاح الأوضاع، والأمة تبع لهم؛ لأن هداية العالم وحكمة الوالي وصلاحهما من أهم المؤثرات في الرعية فـ "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته". وإذا استمرأ المسلمون المعاصي ولم ينكرها من بيده الأمر والحل والعقد يوشك أن يعم الله الأمة بغضب منه، وإذا وقع غضب الله وحلت نقمته فإن ذلك يشمل المحسن والمسيء، عياذا بالله من ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ خَاصَّةً الآية. وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقابه" رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ..﴾ [2].

وعلى العلماء بالذات مسؤولية كبيرة أمام الله في تبصير الناس وإرشادهم وبيان الصواب من الخطأ، والنافع من الضار"[3].

* * *

(١) مجموع الفتاوى ٤ / ١٠٧.

(٢) سورة الرعد ،الآية ١١.

(٣) مجموع الفتاوى ٤ / ١٣٥.

المبحث الرابع : التواصي بالصبر:

المطلب الأول : مفهوم التواصي بالصبر:

الصبر معنى جامع يشمل صبر الإنسان على طاعة الله، وأن يحجز نفسه عن ارتكاب المعاصي، وكذلك أن يصبر على الأقدار المؤلمة.

ومن ثم فالتواصي به يشمل كل هذه المعاني، وحث المؤمنين بعضهم بعضا على التحلي بها.

وحاجة الدعاة إلى التواصي بالصبر أشد من غيرهم؛ لأنهم محل القدوة، ولتعرضهم للأذى في سبيل نصرة الدين والدعوة إلى الله تعالى، الأمر الذي يجعل تواصيهم فيما بينهم بالصبر معينا لهم على مواصلة السير في طريق الحق والدعوة.

ومن أقوال المفسرين في المراد بـ"التواصي بالصبر":

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "وقوله: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يقول: وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على العمل بطاعة الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل – ثم ذكر ممن قال بذلك: الحسن وقتادة رحمهما الله "[1].

وقال القرطبي في تفسيره[2]: "قال السدي: الحق هنا هو الله عز وجل. ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على طاعة الله عز وجل، والصبر عن معاصيه".

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسيره، جامعاً بينها:

"﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة"[3].

المطلب الثاني : مكانة الصبر وفضله في الكتاب والسنة:

جاء في فضل الصبر وأجر الصابرين أدلة كثيرة في الكتاب والسنة، تدل على عظيم مكانته وكونه من صفات المؤمنين الأتقياء، وأسباب رفعة الدرجات في الجنات.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [4].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٤/٥٩٠.

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٢٠/١٨١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ٩٣٤.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٥٣.

ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[2].

وروى مسلم في صحيحه[3] عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها".

قال الشيخ السعدي[4] في حقيقة الصبر بأنواعه، وفضله:

"فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر أن يدرك مطلوبه، خصوصا الطاعات الشاقة المستمرة فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى تحمل الصبر وتجرع المرارة الشاقة، فإذا لازم صاحبها الصبر فاز بالنجاح، وإن رده المكروه والمشقة عن الصبر والملازمة عليها لم يدرك شيئا وحصل على الحرمان.

وكذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد، فهذه لا يمكن تركها إلا بصبر عظيم وكف لدواعي قلبه ونوازعها لله تعالى، واستعانة بالله على العصمة منها، فإنها من الفتن الكبار.

وكذلك البلاء الشاق، خصوصا إن استمر، فهذا تضعف معه القوى النفسانية والجسدية، ويوجد مقتضاها وهو التسخط، إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله والتوكل عليه واللجأ إليه والافتقار على الدوام".

وقد ذكر العلماء أن في مجيء التواصي بالصبر مقروناً بالتواصي بالحق ومعطوفاً عليه، حكماً عظيمة، نوردها فيما يلي من أقوال العلماء والمفسرين:

قال الشوكاني رحمه الله: "وفي جعل التواصي بالصبر قرينا للتواصي بالحق دليل على عظيم قدره وفخامة شرفه ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبر عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وأيضا التواصي بالصبر مما يندرج تحت التواصي بالحق فإفراده بالذكر

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٥- ١٥٦.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب (مايقال عند المصيبة) حديث رقم ١٥٢٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ٧٤.

وتخصيصه بالنص عليه من أعظم الأدلة الدالة على إنافته على خصال الحق ومزيد شرفه عليها وارتفاع طبقته عنها"[1].

فيتبين أنه لابد من الجمع بين التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وأنه لابد من الصبر على التواصي بالحق، وهذه هي الحكمة من اقتران ذكرهما في الآية.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فالتواصي بالحق بدون الصبر، كما يفعله الذين يقولون آمنا بالله فإذا أوذي أحدهم في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله، والذين يعبدون الله علي حرف، فإن أصاب أحدهم خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب علي وجهه خسر الدنيا والآخرة، والتواصي بالصبر بدون الحق كقول الذين قالوا أن امشوا واصبروا على آلهتكم، كلاهما موجب للخسران، وإنما نجا من الخسران الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وهذا موجود في كل من خرج عن هؤلاء من أهل الشهوات الفاسدة وأهل الشبهات الفاسدة أهل الفجور وأهل البدع"[2].

وذكر صاحب "التحرير والتنوير" فائدة أخرى من الجمع بين التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وأنهما اشتملا على إقامة مصالح الدين، يقول: "وقد اشتمل قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على إقامة المصالح الدينية كلها، فالعقائد الإسلامية والأخلاق الدينية مندرجة في الحق والأعمال الصالحة، وتجنب السيئات مندرج في الصبر. والتخلق بالصبر ملاك فضائل الأخلاق كلها، فإن الارتياض بالأخلاق الحميدة لا يخلو من حمل المرء نفسه على مخالفة شهوات كثيرة، ففي مخالفتها تعب يقتضي الصبر عليه حتى تصير مكارم الأخلاق ملكة لمن راض نفسه عليها"[3].

المطلب الثالث :أعظم الناس صبرا الأنبياء:

لقد كلف الله الأنبياء بمهمة عظيمة، ألا وهي هداية البشر إلى طريقه المستقيم، وإلى عبادته وحده لا شريك له، فكان هذا أساس رسالاتهم. فاحتاج منهم تحقيق هذه الغاية العظيمة إلى صبر عظيم وتحمل مشاق كثيرة في سبيل دعوتهم والصبر على الأذى فيها.

---

(١) فتح القدير للشوكاني ،٥/ ٦٩٩.

(٢) قاعدة في المحبة ، أحمد بن تيمية، ص٢٠٨ ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، مكتبة التراث الاسلامي ، القاهرة.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/ ٤٦٩.

قال الله تعالى حكاية عن أنبيائه: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[1].

فكان هذا الصبر منهم حقيقا بهم وبعظم رسالتهم ونبل غايتهم وسمو هدفهم، لأنهم أشد الناس نصحاً للخلق وأحسنهم دعوة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة"[2]. وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه، يقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"[3]. وفي هذا السمو العظيم درس بليغ للدعاة في التأسي بالأنبياء في صبرهم على الأذى في سبيل الله تعالى، كما سيأتي في الموضع التالي.

وإذا كان أعظم الناس صبراً الأنبياء، فلابد أن يقتدي بهم الدعاة إلى الله، لأن لهم نصيبا وإرثا من دعوتهم إلى الحق وإلى سبيل الله، ولأن الأنبياء هم القدوة المثلى في القيام بدعوة الله والصبر في سبيلها.

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله:

"فالواجب على الدعاة الصبر والاحتساب، وتحري الحق، والعناية بالأدلة الشرعية والألفاظ الحسنة في دعوتهم، والرفق بالناس مهما أمكن، إلا الظالم، فإن الظالم له شأن آخر، كما قال الله جل وعلا: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾[4]، فالظالم له شأن آخر، يعامل بما يقتضيه ظلمه وردعه عن ظلمه، لكن في الجملة: فإن الداعي إلى الله يتحرى الكلمات الطيبة، ويتحرى الدعوة بالحكمة، والكلام

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ١٢.

(٢) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى ٤/ ٦٠١، كتاب الزهد، باب (ماجاء في الصبر على البلاء) تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ط:١، ١٣٨٢هـ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق ٢/ ٤٦٩، حديث رقم ٣٤٧٧.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

الطيب، والترغيب والترهيب"[1].

فلابد أن يكون الداعية ذا صبر ومصابرة، وقدرة على تحمل مشاق الدعوة، وأن يرفق في دعوته بالناس، صابرا على آذاهم في سبيل إرشادهم.

المطلب الرابع : نجاح الدعوة ثمرة للصبر عليها:

قال الله جل وعلا: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[2].

ففي هذه الآية الكريمة جمع الله تعالى بين أمر المؤمنين بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين الوصية بالصبر على الأذى، لما بينهما من تلازم.

وإن دعوة لا يتوفر فيها الصبر على الأذى لا يمكن أن تثمر الثمرة المرجوّة، ذلك أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد أن يلاقي من صنوف التعب والمشقة الشيء الكثير. فإذا لم يوطّن نفسه على الصبر في سبيل الله تعالى فلن يتمكن من مواصلة القيام بمهمته في النصح والإرشاد للصواب والدلالة على الخير.

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:"المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"[3].

قال الشيخ صالح الفوزان عن التواصي بالصبر في سورة العصر: "ومناسبة ذكر الصبر بعد ذكر التواصي بالحق، لأن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا بد أن يتعرضَ لأذية الناس القولية والفعلية، فعليه أن يصبر على ذلك ويستمر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لو أوذي، فيتحمل ما يناله من الأذى، والذي لا يصبر على أذى الناس لا يستطيع أن يستمر على نصيحتهم"[4].

فهذا سبيل الدعوة والدعاة، سبيل الشرف والرفعة، لكنه مليء بالأذى والعقبات، فمن اجتازها بإخلاصه لله، واتباعه سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتأسى بالأنبياء في دعوتهم وصبرهم، فله العاقبة الحميدة في الدارين.

---

(١) مجموع الفتاوى ٨ / ٤٩.

(٢) سورة لقمان . الآية ١٧.

(٣) أخرجه الترمذي . كتاب(صفة القيامة والرقائق والورع) ٤ / ٦٦٢، حديث رقم ٢٥٠٧.

(٤) تأملات في سورة العصر، ضمن الخطب المنبرية في المناسبات العصرية .

الخـاتمـة:

تضمن هذا البحث خلاصة أقوال العلماء في فضل سورة العصر وما تضمنته من عبر وفوائد وأحكام.

حيث تضمن استخلاص عوامل نجاح الدعوة والدعاة إلى الله الواردة في السورة، بدءا بالركيزة الأولى والأصل الأعظم في هذا الدين، وهو الإيمان بالله تعالى، وأنه لا يصح ولا يقبل إلا إذا قارنه العمل الصالح، فلا إيمان بلا عمل.

ثم تناول البحث شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي جاءت في السورة بوصف التواصي بالحق. حيث تم إيراد أقوال العلماء والمفسرين في فضل هذه الشعيرة وأهميتها، مع التعريف بمصطلحات الدعوة والداعية.

ولحاجة هذه الشعيرة والقائمين عليها إلى التواصي بالصبر ختمت السورة بالحث على ذلك، فتم إيراد أقوال للعلماء والمفسرين في فضل الصبر وحاجة الدعاة إليه، والتلازم بين التواصي به والتواصي بالحق.

كما تناول البحث أقوال للعلماء في الجمع بين الخصال الأربع الواردة في السورة وأنها تمثل منهاج المسلم في الحياة، فإذا اختل شيء منها وقع النقص في هذا المنهاج، وأثر بدوره على التمكن من القيام بواجب الدعوة إلى الله.

وفي الختام أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعل هذا الجهد المتواضع خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به كاتبه وقارئه.

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

المراجع والمصادر الواردة في البحث :

١ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي ٢٢٧/٣٠.

٢ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير.دار طيبة للنشر، تحقيق:سامي محمد سلامة ٤٧٩/٨.

٣ – المعجم الكبير للطبراني ، مسند أبي مدينة الدارمي عبد الله بن حصن،حديث رقم١٣٦٦.

٤ – التحرير والنوير ، محمد الطاهر بن عاشور،مؤسسة التاريخ العربي،ط الاولى ١٤٢٠هـ.٤٦٤/٣٠.

٥ – مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ١٤/٦.شرح ثلاثة الأصول.انظر تفسير سورة العصر للمؤلف نفسه.

٦ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،عبدالرحمن السعدي،تحقيق:عبدالرحمن اللويحق،طبعة مجمع الملك فهد، ص٩٣٤.

٧ – لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي،دار ابن حزم،٣٠٠/١ ، ط : الأولى١٤٢٤هـ.

٨ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي،تحقيق د.عبدالله التركي ٦٣٣/١٥. مركز هجر للبحوث والدراسات ،ط:الأولى١٤٢٤هـ.

٩ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم ، أبو السعود العمادي ،١٩٧/٩. دار احياء التراث العربي ،بيروت.

١٠ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ناصر الدين البيضاوي مع حاشية محي الدين زادة ٥٩٦/٤، مكتبة الحقيقة ، استانبول ،ط:١٤١٩هـ.

١١ – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، ٦٩٨/٥.

١٢ – الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ،١٧٩/٢٠' دار إحياء التراث بيروت ١٤٠٥هـ.

١٣ – المسند للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ١٩١/٣، تحقيق السيد أبو المعاطي النوري ، عالم الكتب بيروت ،ط:١، ١٤١٩هـ.

١٤ – تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد مرتضى الزبيدي ،تحقيق : عبد الستار أحمد فراج،وزارة الارشاد والانباء الكويت، ١٣٨٥هـ ، مادة دعا.
١٥ – الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ،للإمام أبي عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري٢/٨٠٢، برقم ١٠٨٨ ،تحقيق : رضا بن نعسان معطي ، دار الراية،ط: الثانية ، ١٤١٥هـ.
١٦ – مجموع الفتاوى ، أحمد بن تيمية ٧/٢٩٦، طبعة الملك فهد .
١٧ – الجامع الصحيح للإمام البخاري، الطبعة السلفية ١٤٠٠هـ .
١٨ – صحيح مسلم للإمام مسلم الخراساني، دار احياء التراث ، بيروت،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
١٩ – المصنف ، لابن أبي شيبة ،كتاب الإيمان والرؤيا ، ٧/٢٢٩، دار الفكر بيروت ١٤٠٩هـ
٢٠ – الارشاد إلى صحيح الاعتقاد ، صالح الفوزان ، ص٦ ، دار ابن الجوزي ، ط: الرابعة ، ١٤٢٠هـ.
٢١ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي.٧/٤١٨، دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ.
٢٢ – جامع البيان في تأويل آي القرآن،محمد بن جرير الطبري،١/٣٨٣، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ،ط:١،١٤٢٠هـ.
٢٣ – مجموع فتاوى ومقالات منوعة ، عبد العزيز بن باز .١/٢٥١،جمع: محمد بن سعد الشويعر، طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء.
٢٤ – سنن أبي داوود للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، دار ابن حزم بيروت ط:١، ١٤١٨هـ تعليق:عزت عبيد وعادل السيد .
٢٥ – قاعدة في المحبة ، أحمد بن تيمية، ص٢٠٨ ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، مكتبة التراث الاسلامي ، القاهرة.
٢٦ – سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ط:١ ، ١٣٨٢هـ ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
٢٧ – تأملات في سورة العصر، ضمن الخطب المنبرية في المناسبات العصرية.

* * *